لقاءٌ صحفي

الشاعرُ الفلسطينيّ شفيق حبيب: صودر ديواني "العَودة إلى الآتي" لأن الرّقابةَ اعتبرتهُ تحريضًا ضدّ جيش الاحتلال الإسرائيليّ....

- حاوره : حسن أشرف

في هذا الحوار، يحكي الشاعرُ الفلسطينيُّ الكبير شفيق حبيب عن تجربته الإبداعية في ظلّ الاحتلال الصهيونيّ، وعن معنى الانتماءِ إلى أرض فلسطين حياتيًّا وإبداعيًّا، كما لم تفتهُ الإشارةُ في هذا الحوار إلى قضايا أخرى هامّة.

• من هو الشاعرُ الفلسطينيُّ شفيق حبيب عدا كونِكَ شاعرًا فلسطينيًّا؟

- على المستوى الإنساني، أنا بعيدٌ عن كل تعصّبٍ عرقيٍّ أو دينيٍّ أو سياسيٍّ أو إقليميّ.. أؤمن بوحدة مصير الإنسانية، شريطةَ إلاّ يأكلَ القويُّ الضعيف، عندها سأنحاز بكليَّتي إلى جانب الضعيف لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، كما هو حالي مع شعبي الفلسطينيّ.

على المستوى العائلي: متزوج، لي أربعُ بنات وثلاثةُ أبناء، جميعهم جامعيون بعيدون عن الوظائف الحكومية بسبب المقاطعة المفروضة عليّ منذ مطلع الستينيّات من القرن الماضي بسبب مواقفي. أبلغ الرابعة والستين من العمر، وما زلتُ أعمل موظفًا في شركة خاصّة بمدينة الناصرة العربية، ومكتبي هناك ملتقى بعضِ الشعراء والأدباء.

• ماذا أضافت لك هُويَّتك وجنسيتك الفلسطينيّة..؟

ـ لقد أضافت لي هُويتي الفلسطينية القلقَ الدائمَ والترقبَ الحذر مما يخبِّئه لي الغد، خاصةً وأن السفينة الفلسطينية ما زالت تبحث لها عن مرفأ آمن، علمًا أنني من عرب ١٩٤٨؛ ولكننا كلنا في الهمّ شرقُ، فالجرحُ الفلسطينيّ واحد وآلامُ وآمالُ هذا الشعب لا تتشعّب ولا تتجزأ. أما بالنسبة للجنسية، فإنني أعيش منشطرًا بين الموروث والواقع..
الدَّمُ فلسطينيّ وجوازُ السفر إسرائيليّ...

• بعضُ النقاد يقولون بأن قصائدَك تشهدُ بصدق انتمائِك، كيف يكون الرَّبطُ بين المكان والإبداع؟.

ـ المكانُ الفلسطينيُّ مكانٌ ثرٌّ إبداعيًّا بسبب التداعيات والإسقاطات على الساحة الفلسطينية، فعندما يسقط ستةُ شهداءَ

في يوم الأرض، فكيف لا يكون المكانُ مُلهما إبداعيًا من قلب الألم؟.. شأنُ ذلك شأنُ شهداءِ الانتفاضة بآلافهم المؤلفة في الضفة والقطاع، فكيف لا يكون المكانُ هناك أيضًا مَبعثا للإبداع؟، وقسْ على ذلك النزيفَ اليوميّ... وعندما يُحرق المسجدُ الأقصى وتسرق الكنائس وتدنّس الأمكنة المقدسة فكيف لا يكون لهذه الأمكنة صرخاتٌ مُدوّيةٌ في شعري؟؟. وعلى مستوى المكان العربيّ العام، ربما كنتُ أكثر شاعر محلي كتب عن العراق ومحنة ومآسي العراق، وما زلت أذكر كيف أجهشت النساءُ في إحدى قاعات يافا عندما أخذت ألقي قصيدتي: " ليلى العامريّة في بغداد "، عقب مجزرة الأطفال التي ارتكبتها القوات الأمريكية الغازية في ملجأ العامريّة... لم أترك حدثًا فلسطينيًّا إلا وطرقت أبوابه، كذلك تناولت بعض الأحداث العربية العامّة الطّامّة.

• تقيمُ في فلسطين رغمَ الظروف الاجتماعيَّة والسياسيَّة الصعبة، هل تقيِّدُكَ هذه الظروف إبداعيًّا أم أنها تؤثرُ عليك؟.

- الظروف التي نحياها نحن عرب ١٩٤٨ اليوم هي غيرُ الظروف التي كابدها جيلنا في الخمسينيّات والستينيّات من القرن الماضي، إذ كانت حريّةُ التنقل ممنوعة بدون تصريح من قِبَل الحاكم العسكري، وكان الانتماءُ السياسيُّ محارَبًا من قِبَل

السُّلطة، وكانت كتاباتنا مراقبةً ومحاسَبةً من قِبَل أذرع السلطة المخابراتية، حيث كانت هناك وحدة لمراقبة المطبوعات تعمل بلؤم عنصري بغيض، وأظن أنها ما زالت بأساليب مخفيّة.. تعمل في الخفاء، تمدّ مخالبَها بين الحين والآخر كما حدث لي عام ١٩٩٠عندما صودر ديواني " العَودة إلى الآتي " حيث اعتبرته الرقابة تشجيعًا وتحريضًا ضد جيش الاحتلال. إن العيشَ على حد السيف عاملٌ مُحَفز أدبيًّا وإبداعيًّا، فعليك أن تنام وعيناك تحدِّقان في المجهول وقلبُك ينبض ألفَ نبضةٍ في الدقيقة..

• - ديوانك الأخير : "أنا الجاني"، إذا أردنا تلخيصَه، ماذا تريد القولَ من خلالِه؟.

- الديوان الأخير هو مواصلة ما انتهجته فيما سبق، فأنا برغم ما عانيتُ وأُعاني لم أنحرف عن خطي الوطني لحظة واحدة أو قيدَ أُنملة برغم كل الضغوطات.. لقد حمل هذا الديوانُ الهمَّ الفلسطينيَّ خاصةً والهمَّ العربيَّ بشكل عام، فجاء في أربعة أبواب: ١- مَن ضيَّعني..؟ ٢- رحلوا.. كِبارًا.
٣- كلماتٌ دافئة. ٤- من جُعبتي.

حمل البابُ الأول قصائدَ تقرأ من عناوينها، مثل: "أنا الجاني" وَ "مَن ضَيَّعَني" وَ "أبكي عراقًا" وَ "مُعلقة على جدار العولمة"

وغيرها. الباب الثاني حمل رثائيات، مثل "دمعة على فيصل الحسيني" وَ "ألسنة الأزمان" بمناسبة رحيل شاعرنا الكبير شكيب جهشان.. الباب الثالث حمل كلماتٍ دافئةً للسيدة فيروز. أما الباب الرابع: من جُعبتي؛ فحمل مقطوعاتٍ وجدانية..

- اعتقلتك القواتُ الإسرائيليَّة وحاكمتكَ ثلاثَ سنوات وتمَّ حرقُ كتبك بعد مصادرتها.. بماذا يذكّرك هذا الإحراقُ لدواوينِك وماذا ترك في نفسِك؟.

- تذكرُني هذه الجريمة النكراء بما قام به هولاكو التتري حين أحرق مكتبات بغداد الرشيد.

لم تترك حادثة محاكمتي على مدى ثلاث سنوات سوى التحدّي والتصدّي ومواصلةِ المسيرة، فقد أصدرتُ بعد تلك الحادثة المأساوية ستَّ مجموعاتٍ شعريةٍ وكتابًا نثريًا واحدا هو: "في قفص الاتهام"؛ بعد محاكمتي قال عنه باسم المرعبي في مجلة الناقد: (مثل هذا الكتاب يصلحُ لأنْ يكونَ وثيقةً تسعفنا في التعرُّف إلى حرية التعبير وحدودِها فيما تسمى بِواحة الديمقراطية، هذه الواحة التي تتطلب أن يحملَ الشاعرُ فيها رخصة شعر، كما جاء في واحدة من جلسات المحكمة ليحقَّ له الكتابةُ والتنقل) .

• كيف تقيّم ظروفَ النشر في العالم العربيّ؟

- زرتُ مصرَ عدة مرات، وأعرف الكثيرين من المبدعين هناك، كلهم يتذمر من ظروف النشر وعزوفِ العربيّ عن القراءة. تصوّروا أن جريدة " يديعوت أحرونوت " العبرية المسائية توزع يوميًا أكثر مما توزعه "الأهرام القاهرية" للعالم العربي من المحيط الهادرِ حتى الخليج العاثرِ بعشرة أضعاف.

• - هل حالةُ الشعر العربيّ بخير وعافية بنظرك؟

- أقرأ كثيرًا لما ينشر من الشعر في العالم العربيّ فأتساءل: هل هذا الانفلاتُ الشعريُّ حالةٌ صحيةٌ أم كارثةٌ أدبيّة؟ لم أبَلورْ رأيًا بعد..

• هاجمتَ العولمة في قصيدتك الجميلة الأخيرة "أبو ذر الغفاري والعوْلمة.." هل العولمة بالنسبة لك ليست سوى كارثةٍ في نهاية المطاف؟

- العولمة في رأيي عمليةُ تعليبٍ للإنسانية بهدف السيطرة عليها من أجل مصالحَ جشعةٍ اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، تصبُّ كلها في مصلحة السيد الأبيض في البيت الأبيض في الزمن الأسود...

• - ما رأيُك بهذه الأسماء؟.

١- محمود درويش : نراهُ فينا ويرانا فيه... منا وإلينا...

٢- سميح القاسم : محاربٌ أضاعَ سيفه على مفترَقِ الطرُق...

٣- أحمد دحبور : يا شُعلةَ نورْ.. يعشقكَ الكرملُ في وطنٍ أعطاكَ النورْ...

٤- فدوى طوقان : روحٌ تاهت من عندِ الله وعادت إليه (رثيتها بدمع القلب).

٥- فاروق مواسي : مثقفٌ حتى النخاع...

٦- سعاد جبر : صوتٌ رصينٌ خافتٌ في زمنٍ هادر..

٧- ناجي العلي : سيفُ الكاريكاتير المسلول... أذكرُه صباحَ مساءَ في ذهابي وإيابي إلى عملي بالناصرة، مرورًا بمحاذاة مسقطِ رأسِهِ قرية السَّجرة الجليلية.

موقع إيلاف

٢٠٠٥-١٠-٧

موقع التجديد

٢٠٠٦-١-١٧